

عميرام بن أورليثال الوالد الإنسان



بكل بجاحة ووقاحة وقلة أدب، وسفاهة وبلادة وقلة ذوق، ينشر الإسرائيليون صور المجرم عميرام بن أورليثال الذي حرق عائلة دوايشة وقتلهم، وهو يحمل ابنه بين يديه، يدالله ويداعبه، ويلاطفه ويهدده، ويضحك له ويناغيه، كأنهم يقولون إنه لا يمكن لهذا الأب الحنون الرؤوم أن يكون قاتلاً، ولا يعقل أن يكون هذا الإنسان الذي يملك قلب والء عطوف أن يكون مجرمًا، وكأن التهمة الموجهة إليه باطلة، وأنه بريء من جريمة حرق عائلة الدوايشة، وأن الفلسطينيين قد ظلموه وأخطأوا في حقه، بدلًا من البحث عن أسباب هذه الجريمة ودوافعها، فقد تكون هناك ملابسات خفية تبرر ما قام به، وتجزئ ما ارتكبه هذا الأب الشفوق الرفيق الرقيق، ربما هناك من استفزه وأغضبه، وتناول عليه فأخرجه عن حلمه، ودفعه إلى فعل ما كان يرتضيه أو يقبل به.

كنا نسمع قديمًا عن حكم قراقوش وكنا نستغربه وأحيانًا نكذبه، إذ كيف لحاكم أن يعاقب بريئًا بتهمة آخر، ويعفو عن المجرم وينزل عند رأيه ويأخذ بنصحه فيستدعي آخر من بيته ويعاقبه نيابة عن المجرم، ولكن العدو الإسرائيلي جعلنا نؤمن بقراقوش ونصدق، ونعترف بأن منهجها واحد وكتابها مشترك، وكأنهما يغرفان من مستنقع واحد، ويشتركان في أصل قديم أسن يجمعهما.

يدافع الإسرائيليون عن المجرم عميرام بن أورليثال بأنه أب لطفل صغير يحنو عليه ويحبه، ويحرص عليه ويعيش من أجله، وأنه ما زال بعد شابًا صغيرًا لا يعي من الحياة الكثير، ولم يذق من نعيمها شيئًا، فهو لم يتم بعد عامة الحادي والعشرين، ولم يستقل في حياته إلا قليلًا، وهو يتطلع إلى حياة آمنة ومطمئنة، ونفت المحكمة عنه أي ميول عدوانية أو أفكار عنصرية، إذ لا تتسجم هذه الأفكار المقيتة والتهمة الغربية مع شاب مقبل على الحياة، مفعم بالحيوية، ويملاً قلبه بالأمل بتربية ولده وتنشئته، وتعليمه والاهتمام بمستقبله، فهو إن لم يحرص على حياته فإنه يخاف عليها من أجل ابنه الصغير الذي يحتاج إليه.

أما شريكه في الاعتداء وصاحبه في الجريمة، والذي أشعل معه البيت وأحرق الأب والأم والأولاد، وإن غاب عن مسرح الجريمة وقت التنفيذ فإنه كان مخططاً لها، فقد وصفته المحكمة بأنه قاصر، وأن الأحكام لا تجري عليه، ولا يجوز معاقبته أو محاسبته وهو في هذا السن القاصر غير المسؤول، حرصاً على نفسيته ومراعاة لطفولته، في الوقت الذي تحاكم فيه الأطفال الفلسطينيين وهم دون العاشرة، وتصنف من هم فوق الرابعة عشر من عمرهم بأنهم بالغون وراشدون ومسؤولون عن أعمالهم ومحاسبون على أفعالهم.

جريمة العصابة الإسرائيلية العنصرية المتطرفة ليست أداة حادة كانوا يحملونها، أو سكين مطبخ كانوا يخفونه، أو مسطرة مدبية كانوا يحتفظون بها في حقائبهم، أو صورة علقوا عليها إعجاباً واستحساناً، كما أنها ليست نية كانوا يتسترون عليها في صدورهم، أو تفكيراً كان يرواد مخيلتهم، أو دعاءً كان يتردد على ألسنتهم، ولم تكن جريمتهم أن سحنتهم سمراء وشكلهم عربي، ولسانهم يلحن باللغة العبرية، ولا أنهم ركنوا سيارتهم على الطريق، أو أسرعوا بها على الطريق السريع، وغير ذلك مما يتهمون به الفلسطينيون ويقتلونهم أو يحاكمونهم عليها.

إن جريمة هذه العصابة أنها هاجمت منازل عربية فلسطينية آمنة مطمئنة، وكتبوا على جدرانها عبارات عنصرية معادية للعرب، ثم أضرموا النار في واحدة منها، فأسفر الحريق عن مقتل طفلٍ رضيعٍ ووالديه بعد ذلك، وإصابة شقيقه بجراح بالغة لا يزال يتلقى العلاج على إثرها، ولم تكن جريمتهم أنهم خدشواهم بسكين لا تجرح، أو أنهم ضربوهم بحجرٍ لا يؤذي، بل كانت جريمتهم القتل البشع الغريب المستنكر، ثم جاؤوا بصورة القاتل يحمل طفله الصغير، ويبدو عليه الحنو عليه والحب له، ليقولوا عنه إنه بريء مما نسب إليه من جريمة، وأن الحادثة تحتاج إلى توصيفٍ آخر يناسب الظرف ولا يظلم المتهم، كما أن المتهم في حاجة إلى فترة راحة بعيداً عن ضغوط الشرطة وقسوة الاتهامات الموجهة إليه، وتناسوا العديد من الجرائم الأخرى التي ارتكبتها مع مجموعته.

بل إن من الإسرائيليين من حمل على الفلسطينيين واتهمهم بتحويل الحادثة، وتحميلها أكثر مما تحتمل، وأنها لم تكن سبباً في اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، بل إن عمليات التحريض والتعبئة التي قامت بها أطراف فلسطينية ووسائل إعلامها، هي التي كانت السبب في تفجر أعمال العنف في المناطق كلها، ولو أن الفلسطينيين تعاطوا مع الحادثة التي "دانتها الحكومة وشجبتها" بهدوء وعقلانية، لما تطورت الأوضاع إلى ما هي عليه الآن من سوء وخطورة، بل إن رد الفعل الفلسطيني العنيف والمتطرف هو السبب فيما عم المناطق من فوضى واضطراب.

الحقيقة أن عميرام بن أورليئال قد بيت النية بالقتل، واستعد لهذا اليوم، وخرج من بيته وهو يعلم أنه أبٌ لطفلة صغيرة، وكان في نيته أن يقتل أسراً فلسطينيةً بأكملها، ولم يكن في نيته أن يستثنى الأطفال أو النساء، بل ألقى بقنبيلته الحارقة التي حملها معه إلى البيت المأهول، وانتظر حتى اشتعلت فيه النيران، ومن قبل كان قد كتب على الجدران عبارات عنصرية قد حفظها وأعدّها مع علب الطلاء التي أحضرها معه ليكتب بها.

الإسرائيليون يهزأون بنا ويتهكمون علينا، يحاكمون الطفل الصغير فينا ولو كان عمره عشر سنوات، ويتهمونهم بمحاولة القتل أو الطعن، ويقتلوننا على اللون والسحنة، واللسان واللهجة، ويطلقون النار علينا إن توقفنا في الشارع، أو أبطأنا سرعة سيارتنا، أو زدنا في سرعتها وتجاوزنا الشوارع بسرعة كبيرة، ويقتلوننا إن اقتربنا منهم ويطلقون النار علينا إذا كنا بعيدين عنهم، ويعتدون علينا في بيوتنا وسط عائلتنا وبين أطفالنا، يقتلون الأب أمام عيون أولاده، ويقتلون المرأة الحامل والمرضع والحاضن لطفله، ويقتلون الولد أمام أبيه وأمه، ويرتكبون كل الموبقات بحق الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة، ثم يتهموننا بأننا نحن الإرهابيين، ونحن المعتدين الغاصبين، ونحن من يجب قتلهم وحرمانهم من الحق

في الحياة.

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/10088/>